الأدارة العامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

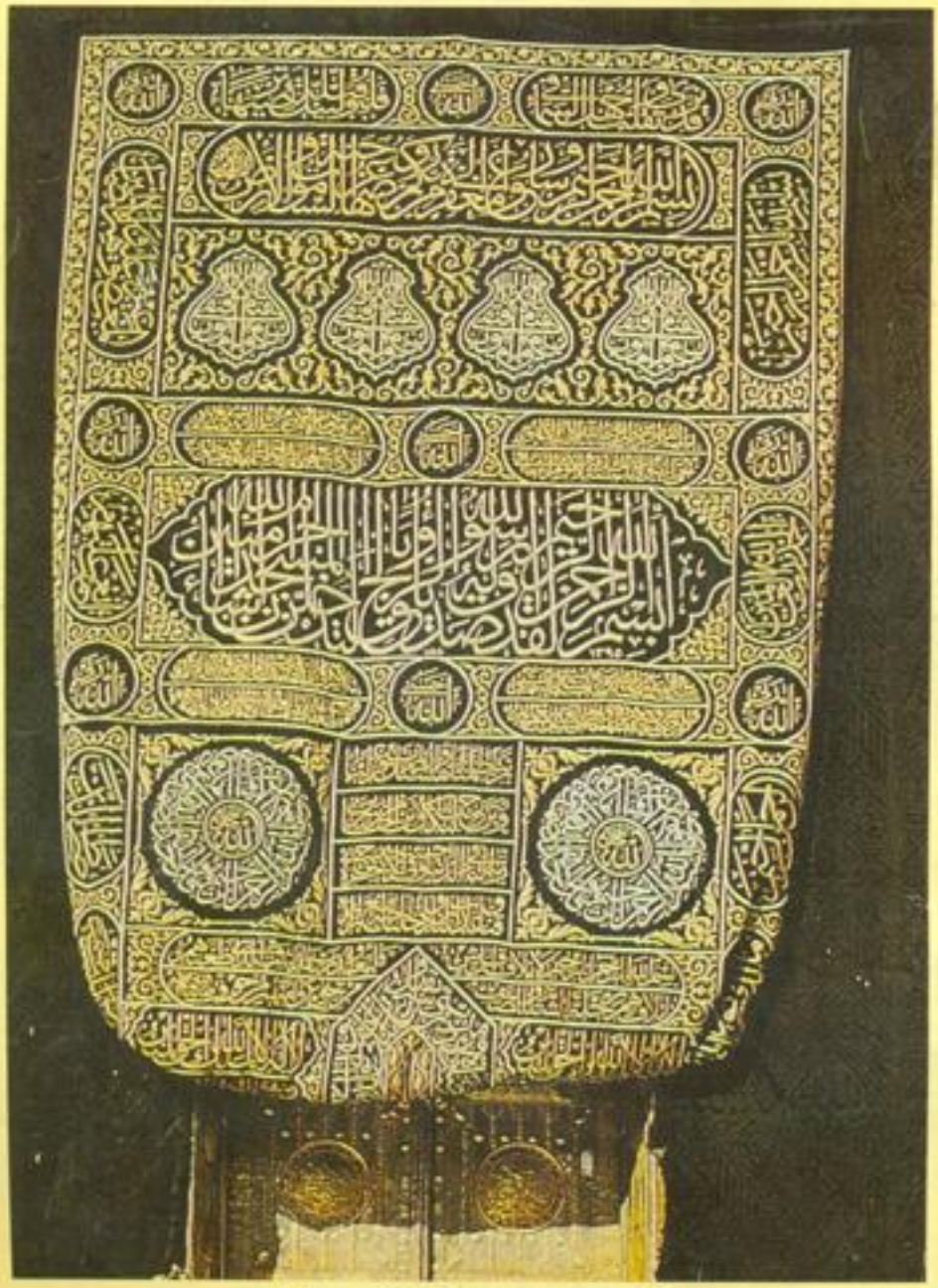

كسوة الكعبة الشريفة

(٩-١٠)

خازن المعلومات
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموسم

فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة

Shiabooks.net

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

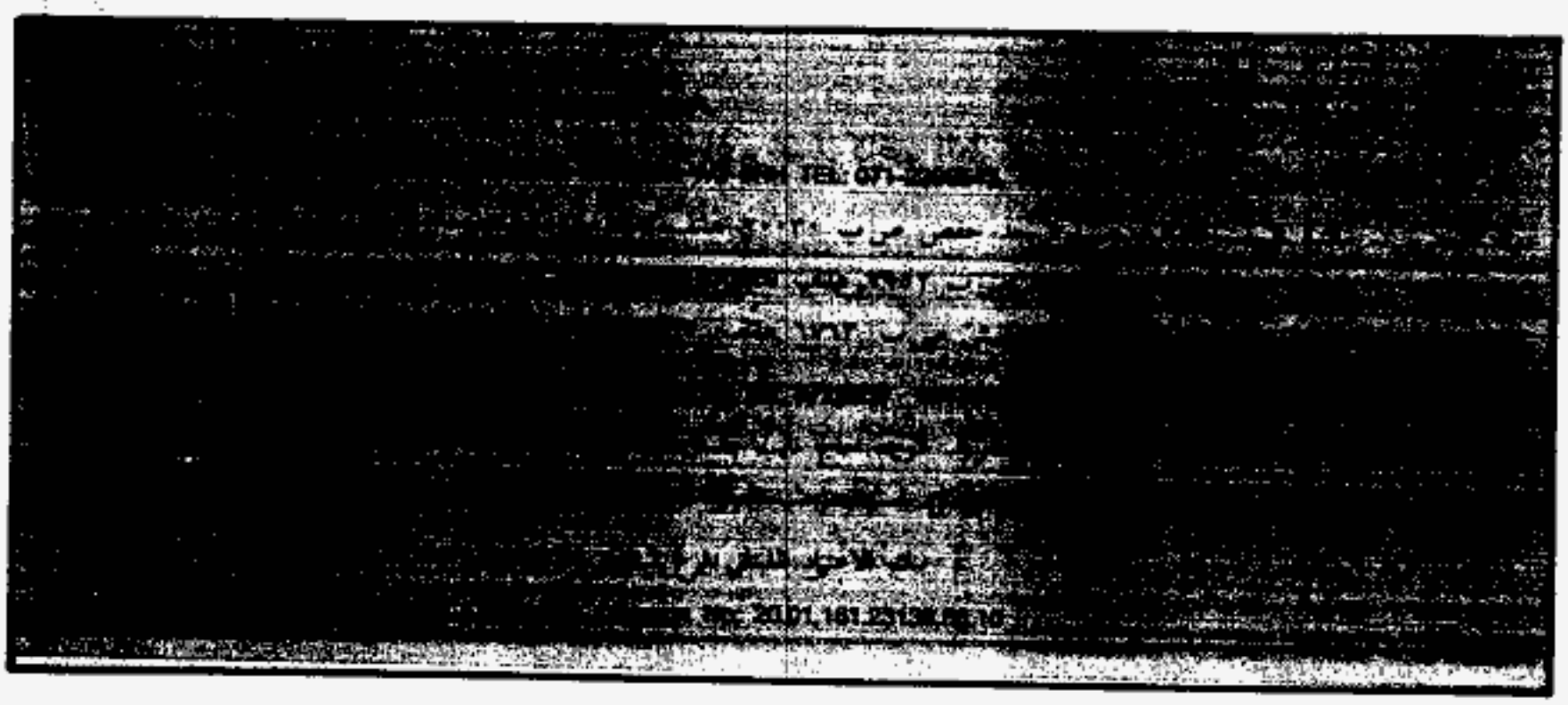

التشيع والشاعرية في واقعية السيد الغريفي

بقلم الدكتور أسعد علي

[ثمانية رضوية في مدخل صدق]

واستوى الأمرُ عن بديعِ الحياةِ ... فشدا النورُ باكياً للحصاة
فَرَبَا الصخرُ باخضرارِ مَسِيحٍ ... عند إلياسَ عن «بشائِرِ» آتِ
كانَ في مهجةِ الغموضِ وضوحي ... في صَلاتي وكنتُ اقرأ لَوْحِي
كان صمتي معبِّراً بصِلاتٍ ... جاء «اسكندرٌ».. وجاء «الطُّريحي»

ـ ١ ـ

كَنزَ صاحبِ كتاب «التشيُّع» في الموضوعية ما يُحرِّضُ الذاتيةَ على الإبداع ، وهذه المسألة : كانت همَّ شيخ الفلاسفة القديم . . . كان يدور بلهفة السائل على شعراء اليونان : ليعرفَ منهم كيف يتصلون بمنابع الإلهام . . كيف يكتبون شعرهم ؟!. .

ـ ٢ ـ

وحملتِ العصورُ إلى القراء : كتباً كثيرةً تحملُ عناوين الإبداع وتفرُّعاته . . أو تحمل معادلاتٍ موضوعيةٍ لما يثير فكرةَ الإبداع أو الوقوع في حالته ، بصورةٍ من صُوَرِها . .

ـ ٣ ـ

أعتبر «التشيع والشاعرية» : من العناوين الدائرية؛ والبراعة في الدورة : هي التي تجيء بالثمار الأطيب ، «ومن ثمارهم تعرفونهم» يقول من يُعرَفُ بالكلمة الملقاة الى العذراء . . وقبل ابن مريم كان أبو الأنبياء يُوصَف بالكلمة الأولى من كلمتي العنوان ؛ فمن يذكر شيعة نوح باني الدنيا الجديدة بعد الطوفان ؟

سلام علىٰ نوح في العالمين وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم .

[الصافات : ٣٧/٧٩ ـ ٨٤]

ـ ٤ ـ

سألت الدكتور «أحمد الوائلي» عمَّا دفعه الى كتابة «الدم الثائر» ـ آخر قصيدة له في «واقعةالطف» ـ . التي يصفها الدكتور يعقوب حياتي بـ «جامعة المواقف» . . فأجاب جواباً جرَّ إلى حوار طويل شهده السيد رضا مرتضى وجمع من الراضين عن قضاء الوقتِ فيما سمَّاه صاحب دار السؤال يوسف علي «مطارحة حول واقعة الطفّ عبر قصيدة الدم الثائر» . .

«والمطارحة» كما فرَّغها عن التسجيل الأخ يوسف : شبه كتاب قد ينشره يوماً مع القصيدة . . لكن ما أُريدَ الوصول اليه من المطارحة : مجتزأ منها لتحديد المثير الذي هزَّ الشاعرية فاهتزت وربت وأنجبت القصيدة . .

كنت أعي قصدي من الحوار الذي شارك فيه السادة الحضور . . لذلك لم أكفَّ عن توليد الأسئلة حتى وصلت إلى القصد . . أي إلى النقطة التي منها انقدحت شرارة الفكر في مشاعر الحبر فأضيء قنديل الشعر . .

قلت للشيخ الشاعر : أول نبضة ، بشأن هذه القصيدة ، نبضت بك . . فتلت فيك الشعلة حتى كتبت هذه القصيدة : «الدم الثائر» ؟ !

قال الشاعر : أنا أعيش أبعاد «الطفّ» دائماً . . وبنفس الوقت : أستريح إليها ، وأشعر بنوع من القرب لآل رسول الله (ص) . . وبنوع من المواساة لرسول الله (ص) . . لذلك بين كل فترة وفترة أرى تسجيل واقعة الطف .

قلتُ : هذا معلوم . . سيرتك وآثارك «قصائدك ومجالسك : بيّناتٌ . . لكن ما أقصده بالضبط : ماذا كنت تعمل عندما وُلِدَتْ هذه الفكرة . . أو حين جاء أول بيت من القصيدة مثلا ؟

قال الشاعر المنشد : في الحقيقة ، الذي فكرت به ، هو : أننا في الحالة الحاضرة ، نعيش حالة واقعية تعطي الدماء . . لكنها لا تعطيها بصورة رسالية . . وأنا أريد ـ في هذه القصيدة ـ أن أوحي إلى هذه الدماء التي

تسيل : بأن تقتفي مسيرة دماء الحسين في كونها رسالية أعطيت لله ، عز وجل ، حتى تأخذ الأثرَ المطلوبَ تلقائياً . . فالحسين قام بالحق للحق .

قلت : كأنما القصيدة الحاضرة استعادة . .

قال : لسيرة الحسين ، أو لاتجاه الحسين . .

قلت : هي بأسلوب جديد . . الآن . . الآن . . ماذايجري ؟ . . هل بالإمكان ذكر أول بيت ورد لك من القصيدة ؟

قال : خطرت الفكرة عندي . . والفكرة : تومض أحياناً . .

قلت : بيت القصيد ؟!

قال : تداعي المعاني . . هذه الفكرة لئلاَّ تذهب : نحصرها في إطار . .

قلت : أين حصلت هذه الومضة ، أو الخفقة ؟

قال : هنا ـ في هذا البيت ـ يعني منزله ـ كنت أقرأ «كتاب التشيع» خطر لذهني وأنا أقرأ : أن التشيع حيث ترد هذه اللفظة يرد معها شعور بالوقت . . بأن التاريخ : لا يقدر أن يصفها بغير كونها جذوة ملتهبة ، نتيجة تعاليم خاصة وظروف خاصة . . فهذه الجذوة : لها أن نحوًلها : إلى دمع . . إلى رثاء . . وإلى . . . ينبغي أن نعطيها حقها من الشموخ . . ومن العطاء : تولّدت عندي الفكرة . . وُلِدَ البيت . .

قلت : البيت الأول . . ؟

أنواح في الطف أم تغريد ؟ . .

قال : في البيت الأول «ومشيت» .

قلت : إذاً . . لمس كتاب «التشيع» للسيد الغريفي . . رأساً . .

قال : بعد ما قرأت الكتاب «استعرضت في ذهني خاطرة الشيعة ، ولادتهم وتاريخهم» النهايات التي ينتهون إليها . . السبب الذي جرَّ عليهم أن يحتشد الباطل دائماً في وجوههم . . لماذا ؟

لأنهم حملوا مشارب أرواح أئمتهم بالوقوف في وجه الظلم فَعُرِّضوا إلى نوع ـ هذا اللون ـ من الاضطهاد . .

قلت : بلغنا القصد من القصيدة . . من تلك الشعلة . . وشكراً . .

- ٥ -

شاعرية الدكتور الوائلي : جهيرة المستوى مثل خطابته ؛ فهو : الخطيب العبقري ، وأمير المنبر الحسيني كما لقبته مجلة الموسم في عددها المزدوج [٢ -٣/ ١٩٨٩] وكما يقول عنه «داخل السيد حسن» في مقدمة كتابه «من لا يحضره الخطيب» . . «والسيد داخل» ، بدوره ، خطيب بارع ومستقٍ من خبرة الوائلي الواسعة .

ان التوقف عند مثل هذه المنعطفات من أخصب البقاع للباحثين عن منابع الإبداع ؛ لأنه يبصرهم بكيفيات من التأثر والتأثير اللذين يولِّدان مظاهر عطاء ومواسم سخاء لا تنفذ مائدتها . . فالشخصية الوائلية ملهمة ومستلهمة ؛

أخبر عن إلهامه : السيدُ حسن . . وهو يخبر عن استلهامه مرَّةً في الشعر . . ومرة في النثر . . وقد سبق بوحُه بالعلاقة بين قصيدة «الدم الثائر» وبين كتاب «التشيع» للسيد الغريفي . . .

أفكِّر : أن قراءة «التشيع والدم الثائر»

معاً : تفيد القراء الشباب والشيوخ على حدٍّ سواء ؛ لأنها : تظهر تولُّدَ الشعر من النثر . . وقل : توضِحُ جوانب من تحريض «التشيع» للشاعرية . .

- ٦ -

«التشيُّع» : عنوان ارتضاه السيد العلامة عبد الله الغريفي . . لكتابه ذي الأقسام الثلاثة :

قسم التشيع في نشوئه ومراحله (٢٣ - ٢٤٦)

قسم الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة (٢٥٩ - ٣٨٨)

قسم مستويات التشيع في الإطار العام (٣٩٩ - ٥٨٩)

إن خطّة الكتاب : تقدم مؤلفه بحلّة جديدة جذابة ؛ لأنها تمتاز بالصراحة ؛ وهذه التسمية ـ عندنا ـ وصف لكرم الله . . فالصراحة : كرم الله . . وصديقنا الشاعر المرحوم عبد اللطيف حبيب عيد الصالح : يرى «التقية مكر الله» ، كما يتضح لقارىء «الكيفيات الإبداعية» في المجلد الثاني من كتاب «الإبداع والنقد» بعنوان «ناسك القلع وحلم القنديل» . .

- ٧ -

السيد الغريفي في كتابه التشيع : صريح جداً ؛ يضع النقاط على الحروف من كل الجهات . . وقارىء كتابه بتروٍّ : يتعرَّفُ إلى القمم والسفوح في مسيرة التشيع وجهاد الأئمة (ع) ليكون «الإسلام كما بدأ» مع «خاتم النبيين» وكما ينتظر في دولة «خاتم الأئمة المنتظر» ، عجَّلَ الله فَرَجَه ، واستجابة العالم للقائه والعيش في دولته التي يُلخِّص صاحب التشيع خصائصها بخمس هي :

١ - العالمية ؛ (ص /٤٨٨)

٢ - وانتشار العدل والأمن في الأرض ؛ (٤٨٩)

٣ - الرخاء وظهور البركات والخيرات ؛ (٤٩٠)

٤ - تكامل العقول وانتشار الثقافة والعلم ؛ (٤٩٢)

٥ - التجسيد لسيرة الرسول (ص) . . . ؛ (٤٩٢ - ٥٩٣) . .

إن التمعُّن بالخاصَّة الثالثة مثلاً : يشبع جوع الجائعين ، ويروي ظمأ الظامئين ، ويتجاوز طموح الطامعين ، حتى الأكثر شراهة منهم . . وليتَ التوجيه التربويَّ : يغلو ما أمكنه الغلوُّ من إعطاء هذه الناحية وقتاً وجهداً ؛ ليُحِبَّ الناسُ صاحِبَ الزمان ، ليتودد إليه المتوددون بصدق ، ليُقبلوا على ما يريد بفرح زين العابدين (ع) عند الإقبال على الصلاة . .

الكيفية التي عرضت بها هذه المسألة : وجيزة جدّاً ؛ فهي أقل من صفحتين في الكتاب . . أخذت نصوصها الخمسة من سنن ابن ماجه (ج٢/١٣٦٧) . . والمستدرك على الصحيحين (ج٤/٥٥٨ و ٤٦٥) . . ومسند أحمد بن حنبل (ج٣/٢٧) . .

في النصِّ الأول عن أبي سعيد الخدري ، أن النبيَّ (ص) قال ما مؤداه :

«والمال يومئذ : كدوسٌ» . .

فيقوم الرجل ، فيقول : يا مهديّ . . أعطني . . !

فيقول المهديّ (ع) : خُذْ .

(سنن ابن ماجه ج٢/١٣٦٧)

المقتتلون على المال في عصرنا ، وفي كل العصور . . لو دُرّبوا على الاقتناع بمثل هذا الخير . . هل كانوا يعملون أعمالاً توصلهم إلى الرضى النفسي والحسيّ الذي يستقدم ظهور المهدي ؟

إن الإمام الثامن ، عليّ بن موسى الرضى (ع) ، يقول :

«رحم الله عبداً أحيا أمرنا . .يتعلّم علومنا ويُعلّمُها الناس . . فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا» . .

هذا القول : مجيدٌ في تاريخ التشيع ، لأنه يأخذ بالناس إلى الحسنى . . وواقع الناس اليوم : إدانةٌ لمن لا يتعلمون علوم آل البيت بإحسان . . ولمن لا يُعلّمونها بإحسان . .

ويَستطيع من يرى في نفسه حرجاً مما أراه : أن يقرأ نتائج «التشيع» التي ختم بها السيد الغريفي كتابه ؛ وبالأخص الملاحظة الرابعة التي نقلت صوراً من آراء من يتعرفون محاسن كلام آل البيت ويتبعونهم من شتى الفِرَق الإسلامية . .

- ٨ -

ومعذرة من السيد العزيز إذا أحلت إلى ما يؤكد نتائجه هذه من خارج كتابه ؛ ففي «روضات معرفة الله والقيَم النقدية» : أشرت الى «تسعين مفكراً : من شرق وغرب» . . قالوا ما قالوه عن التشيع وفرقه . .

لقد كان إخوة لنا من أذكياء المثقفين : يظنون ان سائر فرق الاثني عشرية المتفرعة عن الشيعة : سائرة في طريق الجنوح ، بعيدة عن الإسلام . . لكن هؤلاء الإخوة قرأوا كتاب «فن المنتجب العاني وعرفانه» ، وبعد قراءته قالوا كلاماً آخر . . وكلامهم الجديد : يؤكد سلامة «التشيع» ومحاسن الاسلام فيه . . وأشار مخرجو «الروضات» إلى «ألف رسالة ورسالة» : كلُّها تؤكد رأي الإمام الرضا (ع) ، والناس ينتظرون من يأخذهم الى محاسن كلام آل البيت (ع) وبأسلوب يبصرهم ويجعلهم يجاهرون بمثل المجاهرات البديعة التي كتبها أصحابها في مناطق مختلفة من العالم . . ونشير إلى بعضها مثل :

(أ) ـ بكري شيخ امين ووجه الله : (ص/ ٢٣٣ -٢٣٩)

(ب) ـ محمد حسن عواد والمنتجب : (ص/ ٢٢١ - ٢٣٠)

(جـ) ـ محمد علي الزعبي وشمس المنتجب : (ص/ ٢٤٠ - ٢٤٦)

(د) ـ محمد محمد الخطيب ـ وزير أوقاف سورية ، يومذاك ـ المقال الأول من «مجلة نهج الاسلام» (ع/ ٢٧) . . وفي «روضات معرفة الله والقيم النقدية» . . (ص٦٧٥ ـ ٦٩٢) . .

إنني أرجو الله : أن يرى قراء «التشيع» رؤية مؤلفه التي تدعو الى جوٍّ من الحوار الموضوعي الهادىء . . الذي في ظلّه : تتحرك حالات الخلاف في اتجاه التلاؤم والوفاق» (ص١١) ، على ما سمّاه : «بنية الاسلام الفكرية» الشمولية ، التي هي في أعماق ما اصطلح على تسميته «التشيع» (ص/١٢) . .

وإنني أرجو العودة إلى عبارة الدكتور الخطيب الذي يمثل ، بوعيه المنفتح ، ما اصطلح على أنه «التسنن» . . فقد قال :

«وأنا في محاولتي كتابة المقال الأول لنهج الإسلام . . أملاً في تجديد العهد مع الله . . يلقي إليَّ البريدُ رسالة من «لجنة تنسيق المؤلفات العالمية في الاتحاد العالمي للمؤلفين» الذي اتخذ باريس مقراً له ، فوجدت في الرسالة : معاني

ليس من الأمانة أن احجبها عن قراء «نهج الإسلام» ، فأفسحت لها المكان : ليطلع عليها القراء ، وهم أحقُّ بالكتابة إلينا من خلالها : حواراً هادئاً وهادفاً نتغيًا فيه جميعاً مصلحة الإسلام والمسلمين ، وبالتالي المصلحة الإنسانية التي هي هدف الإسلام العظيم» .

[نهج الإسلام ، (ع/٢٧) ، وروضات معرفة الله والقيم النقدية ، (٦٥٠) . .]

السيد الغريفي في كتابه «التشيع» . . والدكتور الخطيب في «نهج الإسلام» : يُلحّان على «هدف الإسلام العظيم» . . أليس رسول الإسلام بعث رحمة للعالمين . . وهل من هدف الرحمة ما يراه العالم من هوَجيّة البطش باللسان والحسام . . حتى لكأن العقلاء يرون الوقائع مثل أضغاث أحلام فاجرة . . ؟!

- ٩ -

هذه واحدة من الصور «الغريفية» : تشعل مصباح الوعي ليرى خلصاء العباد محاسن الوحي ، فيتبعون أئمة القيادة إلى الجنة . .

وهذه الصورة في الذروة العليا . . وفي البشائر التي ينتظرها الصاحون مع قدوم صاحب الزمان (عج) الذي تقرأ حروفه بشغف موسيقي يصفه باللغة وصفاً يصوِّر مقتضى حاله . . فهو «صاح بالزمان» . . وتلك لغته : الصحو . . ومن أين لمدمني الغفلة أن يفهموا تلك اللغة . . إذا لم يجتهد المجتهدون في إثارتهم وإنارتهم» ؟ !

- ١٠ -

الصورة الثانية : تدريبٌ من مستوى آخر ، على رياضة الجسد . . والسيد الغريفي في كتابه «التشيع» : أراد شمول الإثارة المثيرة ، لذلك ختم كتابه بمبحث «التمتع» الحسيّ ، الذي سمّاه «الزواج الموقت» ، وهو المسألة الرابعة من مسائل النهج الفقهي . .

إن قراءة هذه المسألة بتروٍّ متبصرٍ ، وبإشراف خبير فقيه : يساعد أجيال العالم كلها ، لأن أحداً لا يستطيع تجاوز قواعد التكوين ، والجنس مسألة تكوينية أولاها التدوين حِرصَه ورعايته ، كما أولى مسألة العدل اهتمامه وتوجيهه . .

لا أحبُّ ، شخصياً ، الدخول في تفاصيل هذه المسألة محبتي لتفاصيل «روح الصلاة في الآثار الخمينية» التي نشرتها في عدد الذكرى السنوية للإمام الخميني . . ونصحت بقراءة ذلك أربعة آلاف مرة في مدارس الجمهورية الاسلامية وجامعاتها . . [الثقافة الاسلامية : ع ٣١/ص ١٠٧] .

لكنني أحب التنويه بمعالجة السيد الغريفي لهذه المسألة فهي بينة ومفصّلة ، وجديرة بالعناية الإعلامية العالمية ، لأن التمتع الحلال : لا يقاس بمثيله الحرام . . وان تشابهت الصورتان . . كذلك في مستوى الصلاة : يصلي الرجلان وركوعهما واحد ، وسجودهما واحد . . والفرق بين الصلاتين كالبعد بين السماء والأرض ، كما تفيد الأحاديث النبوية الشهيرة . .

سميت الزواج المؤقَّت : «تمتعاً» . . ولم أسمِّهِ متعةً ، لأتفق مع صيغة «التشيع» الصرفية من جهة ، ولأجاور صيغة الآية الثالثة والعشرين من سورة «النساء» ، من جهة ثانية ، فقد استخدمت المادة اللغوية استخداماً بالغاً أقصى الزيادة ، ولذلك مبحث في دلائل «فقه اللغة القرآنية» : لا يتسع له مكان البحث

الفقهي «العجِل» ، فكيف يتسع له «المستعجلُ» اليوميُّ ؟!

وثالثة الجهات مثل «سرِّ الصَّلاة ، أو صلاة العارفين» : ترقىَ بالجهتين السابقتين الى صيغة «التديُّن» ، فهذه الصيغة ثالثة المراقي في مصادر المادة اللغوية ، كما توردها معجمات الألفاظ القرآنية ، فتقول : [دان بالإسلام : ديناً ، وديانةً ، وتدينا : اتخذه ديناً ، أي عقيدة] . .

التدين : «شمول أوسع ، يحتضن الواسع وما دونه ، فكأنه صوت «الرعد» المدوِّي من السورة [١٣] بآيتها [١٥] :

«ولله :

يَسجُدُ من في السماوات والأرضِ . .

طوعاً وكَرْها . .

وظِلالُهم . .

بالغدوِّ والآصال » [الرعد ١٣/١٥]

أليس يكون العبد أقربَ ما يكون إلى ربِّه : عندما يكون في حالة السجود ؟

هل تشرح هذه الآية صدر رفيقتها التي تقول بأن الله أقرب إلى العبد من حبل الوريد ؟

وهل تُذكِّرُ بتفاصيل السيرة المطهَّرة التي تروي مسألة «التحبُّب إلى خاتم الأنبياء من «النساءِ والطيب» . . كما جعلت «قرة العين في الصلاة» . . ؟

إن السجود: خطابٌ مع الأعلى ، لذلك جعلت قرة العين في الصلاة . . وجعل التحبب لما دون ذلك . .

الدين ، بلغة القرآن : اعتقاد ، وبقلب فعله : يُسمَعُ صوت الحاجة ، كما يفيد النطق الانكليزي مثلاً :

أليس قلب صوت «دين» : يمنحنا صوتا جديداً هو «نِيْدْ» ، وهذا الصوت الجديد في لسان آخر : يعني مستوى آخر من مستويات معنى الدين ، فهو : الحاجة ، والضرورة ، والعوز ، وما يدور في هذا المجال ، كما يفصح قاموس اللسان الانكليزي ، فلتلاحظ مادة الصوت [Need] : للتزيد من معرفة آيات الله الذي يسجد له كل شيء ، وظلُّ كل شيء : أليس من آياته: اختلاف الألسنة والألوان ؟

- ١١ -

إن التماسَّ مع كتاب «التشيع» بأسلوب السيد عبد الله الغريفي: فتح «للخطيب العبقري» باب الشعر ، فكتب «الدم الثائر» ، وكانت المطارحة حولها لأن «الشعر فكرُنا المكتوبُ» ، كما يقول صاحبها في قصيدة أخرى من مئة بيت سماها في ديوانه [دمعة على قبر أحمد] ويعني باحمد [بدوي الجبل] . . وقد رأينا أن «فكره المكتوب» في «الدم الثائر» : أضيئت مصابيحه من قراءة «التشيع» بهذا الطرح المثير المنير . .

- ١٢ -

في أحوالٍ أخرى : قد لا يحتاج الناقد أو القارىء لمحاورة الشاعر للبوح بسبب ولادة القصيدة ، كما فعل الوائليُّ نفسه في بائيته

الرثائية المشار إليها «دمعة على قبر أحمد» . . أو كما نجد في ديوان السيد محمد حسين فضل الله من كرم الصراحة في مدخل قصيدته [ربِّ أنت الحقيقة] ؛ فهو ـ زاده الله إحساناً وفضلاً ـ يربط بين القصيدة وبين «معرفة الله والمكزون السنجاري ؛ فيقول : [مهداة إلى الدكتور أسعد علي تحية لكتابة «معرفة الله»] . . [قصائد للإسلام والحياة : (ص/٣١ ـ ٣٤)] .

لقد نشرت القصيدة في «روضات معرفة الله والقيم النقدية» ، بعنوان : «السيد محمد حسين فضل الله والصداقة» ؛ (ص/ ٧٢٩ ـ ٧٣٢) . . وقيل عنها في «مفاتيح الروضات ومرايا القيم» : وفي روضة «الصداقة» : شاعرية تذكرُ بـ «هومر ، ودانتي» في وثوقيتيهما وتخيُّرهما لاستدراج السر ، مجملاً حيناً ، ومفصِّلاً حينا آخر . .» . . [روضات : ٧٥٩] .

أذكر في هذه الخاتمة ما أذكره ، لأسباب منها :

١ ـ التماسُّ مع قصيدة «الطف» المولودة بعد قراءة «التشيع» : كما لُمِسَتْ ومُسَّتْ قصيدة «الصداقة» ، أو «ربِّ أنت الحقيقة» التي وُلدَت بعد قراءة «معرفة الله» ، إنما بالنحو الذي ذكرناهُ من كرم الصراحة ، تحية وردٌّ تحية . . فهل فُهِمَ قصدي ؟! أعني أن تنشر القصيدة بكاملها ؛ وصاحبها أكرم من التذكير بالكرم . .

٢ ـ فتح طريق الرؤية من زاوية «التشيع» بلسان السيد فضل الله ، مؤكِّداً هدف «التشيع» بلسان السيد الغريفي ، الذي هو «هدف الإسلام العظيم» عينه بلسان الدكتور الخطيب ، الذي نشره وهو وزير أوقاف . .

وأنقل «عبارة خضراء» ، كتبها صاحب «قصائد للإسلام والحياة» فيها : روح الهدف الذي نطوف حوله في تفهُّم كتاب «التشيع» ، من جهة . . وفيها إضاءة لإبداع الشعر من جهة ثانية . . ونقل هذه العبارة مثل المغامرة ؛ لأنها عبارة إهداء ، لا توجد في مكان آخر . . منها :

«أخي في الله» . .

«مع الله : عشنا معاً في آفاق الحقيقة . .

«ومع الشعر : نستلهم كيف نكتشف آفاق الحياة مع الله» . .

«وستظل صداقة الروح والمعرفة : سبيلنا إلى الاستمرار في الخط الذي يبني الحياة على قاعدة العرفان في الحقيقة ، والعرفان في عمق الإنسان . .

«تمنياتي لك بالعطاء المستمر في دروب الله من أجل الإنسان . .

[٢٠/٢/١٤٠٦هـ]

ويكتمل القصد من هذه العبارة الخضراء . ولو جاءت بصورة إهداء : إذا شفعت بمثيلتها المخطوطة على مدخل [رباعيات : يا ظلال الإسلام] باليوم ذاته :

«في ظلال الإسلام : أرجو أن تكون مسيرتنا من أجل إسلام منفتح على الحياة ، لا إسلام منغلق في الذات وفي الأطماع . .

«روحك : منطلق إسلامي ، يبحث عن الحقيقة . . وهي في عمق الوعي : معنى ، أرجو أن يتكامَل ويزدهر في كل عطائك الذي تعلمت منه الكثير . . [٢٠/٢/١٤٠٦هـ] . .

- ١٣ -

إن ألسنة إخوتنا في الله : بيِّناتٌ لوحدة الحقّ البديع في كثرة المبدَعات ، أكانت في الآفاق أم في الأنفس . .

ومن السعادة : أن يلتقيَ هؤلاء الأصدقاء على اختلاف فئاتهم في ملتقى محرَّر ومحرِّرٍ من العُقَد ومن الحقد ، ومن كل ما يُحدِّدُ حرية عبد الله المكلَّف على هذه المعمورة ، كما يقول الدكتور ابراهيم الشهابي في كتابه «القرآن حـرَّر الإنـسـان» ؛ [ص/ ٦٣ ـ ٦٤/ وما بعدهما] . . وكما في عبارة الإهداء . . يقول :

«الحرية : هي مناخُ التربية المثلى ، وبناءُ الإنسان المؤمنِ الذي يُعمرّ الأرض : خيراً وبـركةً . . ومعـاً على درب الحـرية» . . [١٩٩١/١/١٤] .

وعلى بوابة كتابه «مفهوم الحرب والسلام في الإسلام» ، كتب لي : مفتتحاً بعبارة من نهج البلاغة» :

«الجهاد باب من أبواب الجنة» ؛ لأنه عملٌ وبناءٌ ؛ عمارة وعدل ؛ . . فإلى أخي . . ومعاً على دروب الجهاد من أجل إسعاد الإنسان وسلامه» . . [١٩٩١/١/١٤] .

إن إسعاد الإنسان وسلامه : يتحقق عندما يقترن الفعل بالقول . . وقد التفت مشكوراً الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه «أنصار الحسين» [ص/٢٧ : ط ١ ؛ دار الفكر : ١٩٧٥] إلى أسلوبنا في قراءة لفظ «عـاشـوراء» الـتي تـعـني ـ عـنـدنـا ـ [عاش + وراء] . . والوراء في كتابنا [جامعة الحسين] يعني : السِّبط ، وابن البنت ؛ فهو الحسين . . وتكون اللفظة هتافاً يعني [عاش الحسين] الذي اتحد فعله بفاعله . . وقرار هذه الوحدة أزلي ويبقى إلى الأبد ؛ لأنه متصل بالمهيمن على السرمد . . ويُلام في آيات الوحي من يقولون ما لا يفعلون لأن ذلك يسبب مقت الله ـ أعاذنا الله ـ.

وهذا ما جعل سماحة الشيخ شمس الدين : ينبه إلى أبسط مظاهر «النظرية المنقذة» : لأنها نظرية التمييز بين متشابهين يوهم تشابههما بالتماثل ؛ فالضرار : مسجدٌ يشبه «مسجَد قباء» ولا يماثله ؛ لأن «قباءً مسجد الحق والنبوة» و «الضرار» : مسجدُ إبليس وأذى عباد الله بصرفهم عن «الرحمة العالمية» التي تمثلها دعوة «قباء» ، المسجد النبويِّ الأول . .

عنيت بأبسط مظاهر «النظرية المنقذة» : قول الحسين «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي» ؛ لأن خروج الحسين ضد الانحراف كان عملياً واضحاً لا تراخي فيه ؛ الفعل والفاعل متحدان «خرجت» كاتحادهما في صورة «عاشوراء» المظهر الأصعب للنظرية . .

والفكرة المُرادة هنا : فكرة «الخروج» لخير الإنسانيـة ؛ فليس كمثلها خـروج «الخوارج» على «أمير المسلمين بالحقّ» . . . ويَستشفُّ الأذكياء من هذه الالتفاته مرتبة الثورة الحسينية ؛ فهي التألق الثاني لصفاء الإسلام : كسفر «الخروج» الذي يأتي ثانياً بعد سفر «التكوين» ، وغرضـه : النجاة من ظلم فرعون ؛ . . باتباع نبي من أنبياء الله الصادقين ، يوحِّد بين القول والفعل ، ولو كلفه ذلك «التيه» أربعين عاماً . .

إن الإشارة إلى غرض «الخـروج» وتكاليفه : يؤكد صلابة الحسين المكتسبة من جدِّه الأعظم لرحمة العالمين في كل العصور . . ويؤكد استواء مسيرته الفعلية مع مقالته اللفظية وصفة يومه التوحيدية .

وفي كتاب «التشيع» : إخلاص للتخلُّص مما يفرِّق القول عن الفعل ؛ لذلك يدعو إلى حوار واقعي صادقٍ يعيد المسلمين والناس إلى [حياة الوحدة الصافية] . .

في روضات معرفة الله : لحظات من قراءة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ؛ وفي

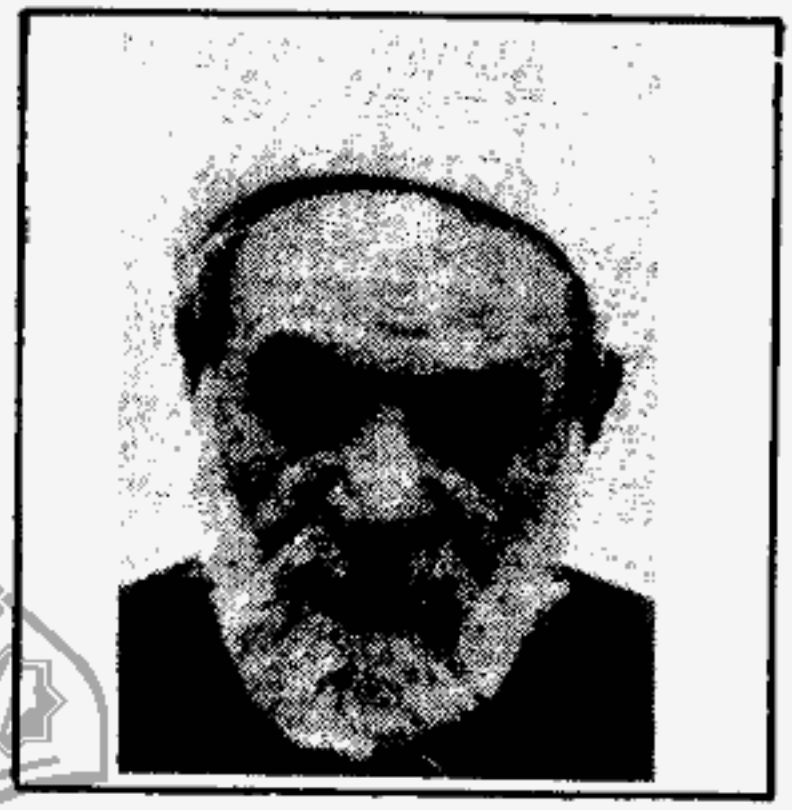

لحظاته تلك يؤكّد إخلاص التشيع الوحدي بصورتين ؛

الأولى يقول فيها : «أليس من مصائب المسلمين أنهم تخلوا عن النهج القرآني في المعرفة ، المبني على معاناة الحياة والطبيعة» ؟

وفي الثانية يعلق على ما جاء في [ص ٣٥٧ من كتابنا معرفة الله والمكزون السنجاري] ، فيقول :

«إنها ذروة الرحلة الوجودية إلى الله تعالى ، اللقاء الذي هو ثمرة الكدح ، وإنها في الوقت نفسه أقصى الفعالية الإيجابية بالنسبة إلى الكون والإنسان والحياة» . . [روضات ص ٧١٥] . . وتنظر فيها [ص ٧٥٩] .

أهل الحق جميعاً يلتقون بالدعوة إلى الوحدة والتوحيد ، كما تؤكد كتب الدعوات الشهيرة والمتواضعة . . ويستطيع متتبعوها تقدير القيم الواقعية التي احتواها كتاب : «التشيع» ؛ لأنها تلتقي بجوهريٍّ نشدانِ الخلائق . .

- ١٤ -

إن عودة تأملية إلى **مقدمة «التشيع» ونتائجه** : تظهرُ مجدَّداً أسبابَ اجتذاب هذه الأقوال المنوعة إلى مجال التحدُّث عنه . . **ولكن هل نسينا فاتحة كلامنا التي تجمع «أصول الوصول إلى قارتنا العذراء»** ؟ ألم نقل : كنز «التشيع» في الموضوعية ما يحرض الذاتية على الإبداع ؟؟!

شهقت في الدجىٰ وراء البوادي ... روعت خاطر الضحىٰ المتهادي
ما وعاها النخيل حتىٰ سرىٰ في ... (دجلة والفرات) رجع تنادي
فأفاقت (بغداد) بنت الأساطير ... وماجت بكبرياء الحداد
وهي في قبضة الخطوب انتفاض ... من إباء ولفتة من عناد
يا عوادي الزمان لن تلمحي في ... جفنها الدمع فاخجلي يا عوادي
أيّ قلب في (الشام) لم يصدم الأضلاع ... صدماً علىٰ هوىٰ (بغداد)

عمر أبو ريشة (من سورية)